

الماهية والوجود عند سارتر
دراسة نقدية

إعداد
أ.م/ عبد المحسن علي وهبة
قسم العقيدة والفلسفة
كلية أصول الدين والدعوة
جامعة الأزهر- فرع أسيوط

الماهية والوجود عند سارتر دراسة نقدية

عبد المحسن علي وهبة
قسم العقيدة والفلسفة- كلية أصول الدين والدعوة - جامعة الأزهر- فرع أسيوط
الايميل الالكتروني: -Wahba-mohsen@yahoo.com-

الملخص

يأتي هذا البحث في نطاق بحوث الفلسفة الحديثة ومذاهبها متصلاً بمفاهيم فلسفية قديمة؛ فلطالما قام البحث في مفهومي الماهية والوجود قديما وحديثا.

ولقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

تحدثت في المقدمة عن أسباب اختيار البحث وأهميته وأهدافه، وخطة البحث.

وكان المبحث الأول في التعريف بمفردات عنوان البحث (الماهية – الوجود – سارتر - دراسة – نقد) وتكلمت عن كل مصطلح من هذه المصطلحات بإيضاح كلاماً مختصراً.

وكان المبحث الثاني بعنوان الماهية والوجود عند سارتر (حدودهما وأنواعهما) وتكلمت فيه عن مراد سارتر بمفهومي الماهية والوجود وحدود كل منهما في فلسفة سارتر، وما تنوع عنهما في فكره، وتعرضت لمبدأ الوجودية الذي اشتهر به سارتر تعرضا طفيفاً بما يلزم البحث؛ حيث إن البحث لا يناقش مذهب الوجودية مناقشة مباشرة.

وفي المبحث الثالث وقعت الموازنة بين فكر سارتر عن الوجود والماهية والفكر الإسلامي، مع مناقشة رجوت فيها الحيادية والإنصاف.

ثم الخاتمة وفيها سجلت أهم نتائج البحث.

الكلمات المفتاحية: (الماهية – الوجود– سارتر – دراسة نقدية)

Essence and Exitenece at Sarter

Abed El Mohssen Ali Wahba
Department : of faith and Philosophy - Faculty of Fundamentals of Religion and Propagation in Assiut - Al-Azhar University .
email : -Wahba-mohsen@yahoo.com

Abstract

This research comes within the scope of research of modern philosophy and its doctrines related to ancient philosophical concepts. The research has always been based on the concepts of essence and existence, ancient and modern.

It divided this research into an introduction, three topics, and a conclusion.

In the introduction I talked about the reasons for choosing the research, its importance and objectives, and the research plan.

The first topic in the definition was the vocabulary of the title of the research (essence - existence - sartre - study - criticism) and I spoke about each of these terms by clarifying brief words.

The second topic was entitled Sarthe and Existence at Sartre (one and both of them), and I spoke about it, Mourad Sartre, with the concepts of essence, existence, and the limits of each of them in Sartre's philosophy, and what varied about them in his thought, and was exposed to the principle of existentialism that Sartre was known for a slight exposure to what is required for

research, since the research does not Existentialism directly discusses.

In the third topic, a balance occurred between Sartre's thought of existence, what is Islamic, and Islamic thought, with a discussion in which I sought neutrality and fairness.

Then the conclusion, in which the most important search results were recorded.

<u>Key words:</u> Essence- Existence- sartar- study- criticism - denomination- thougt- mental existence- existencealready - true existence - material philosophy- ultimate freedom - human essence

أسباب اختيار البحث:

ترجع أسباب اختيار البحث إلى ما يجري في العالم الآن من أحداث يراها الباحث ناتجة عن سوء تقدير للعاقبة في الآخرة، وخواء روحي من ارتباط برب أو دين يهذب النفس البشرية، ويؤثر في تفكيرها وعاطفتها، وبذل ما ينفع، ومنع ما يضر.

بل إن بعض المنتسبين إلى الأديان يرون في المذاهب الوجودية المادية الحق الواجب اتباعه، وذلك – غالبا – لجهلهم بما تحمله هذه المذاهب من شرور.

أهمية البحث:

وأهمية هذا البحث تكمن في أنه سيكون بصيصا من النور للسائرين نحو المادية الملحدة، يضيء لهم الطريق فيبصروا ما ينتظرهم من مصير سوء، وما قد حفره الماديون من حفرات، وما نصبوه من شراك، يقع فيها السائر إليهم فيفقد فيها دينه ونفسه.

خطة البحث:

المبحث الأول: مصطلحات البحث (الماهية – الوجود – سارتر– دراسة– نقد).

المبحث الثاني: الماهية والوجود عند سارتر، حدودهما وأنواعهما.

المبحث الثالث: موازنة بين فكر سارتر والفكر الإسلامي في مفهومي الماهية والوجود.

خاتمة

المبحث الأول

مصطلحات البحث (الماهية – الوجود – سارتر- دراسة- نقد)

(الماهية):

الماهية في اللغة (مأخوذة عن ما هو بإلحاق ياء النسبة وحذف إحدى الياءين للتخفيف ثم التعليل كمثل مرمي وإلحاق التاء للنقل من الوصفية إلى الاسميّة. وقيل ألحق ياء النسبة بما هو وحذف الواو وألحق تاء التأنيث)(١).

للماهية تعريف عام، بعيدا عن أنواعها، ويعتبر هذا التعريف جوابا للسؤال عن الشيء بـــ: ما هو؟

فكان الجواب: (ماهية الشيء كنهه وحقيقته أخذت من النسبة إلى ما هو أو ما هي) (٢).

ومن هذا التعريف نستنتج أن ماهية الشيء هي المعنى الجامع لجوهر الشيء وأعراضه، ذلك؛ أن (تعريف الماهية إما بنفسها، أو بأمور داخلة فيها مقومة لها، أو بأمور خارجة عنها عارضة لها، وإما بتركب من القسمين)(٣).

---

(١) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د/ رفيق العجم، تحقيق: د/ علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د/ عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د/ جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت- الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م، ٢/١٤٢٣.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/حامد عبد القادر/محمد النجار) دار الدعوة، د/ ت، ٢/٨٩٢ .

(٣) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين =

وذلك دون النظر إلى وجود الشيء أو عدمه، أو كله أو جزئه، أو خصوصه وعمومه، وعليه فإن الماهية في حقيقتها تعني: (ما بدا لشيء هو هو، وهي من حيث هي لا موجودة ولا معدومة، ولا كلي ولا جزئي، ولا خاص ولا عام)(١).

وتطلق الماهية غالبا (على الأمر المتعقل، مثل المتعقل من الإنسان، وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر عن الوجود الخارجي. والأمر المتعقل، من حيث إنه مقول في جواب ما هو، يسمى: ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج، يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار، هوية، ومن حيث حمل اللوازم له: ذاتًا، ومن حيث يستنبط من اللفظ، مدلولًا، ومن حيث إنه محل الحوادث: جوهرًا)(٢).

والذين حاولوا تعريف الماهية سلكوا لتعريفها أربعة سبل:

السبيل الأول: تعريف الشيء بنفسه.

السبيل الثاني: تعريفها بالأمور الداخلة.

= السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: أ. د/ محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب – القاهرة/مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤ م، ص٣٦.

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة- الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص٢٩٤ .

(٢) كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ص١٩٥.

السبيل الثالث: تعريفها بالأمور الخارجة عنها.

السبيل الرابع: تعريفها بمجموع الأمور الداخلة فيها والخارجة عنها.

والأول محال للزوم الدور، والثاني لا يكون حدا تاما إلا بذكر جميع أجزائها، والثالث شرطه أن يكون ملازما للماهية نفيا وإثباتا، وأن يكون أبين منها وأظهر، وأما الرابع ففيه تكلف إذ إنه يستلزم ذكر جميع مقومات تلك الماهية، وكل ذاتياتها، ثم يضم إليها الأوصاف الخارجية المعرفة، فهذا بعيد جدا؛ لأن جميع الذاتيات والمقومات إذا كانت مذكورة فقد دفع الاستغناء بذكرها عن الأمور الخارجة[١].

خلاصة تعريف الماهية:

هي الجواب على السؤال عن الشيء بقولنا: ما هو؟

وكل جواب يدل على تعريف تام للشيء المسئول عن ماهيته يكون هو الماهية المقصودة، ولا يكون الجواب تاما حتى يكون التعريف بالحد التام لا بالرسم ولا بالوصف.

(**الوجود**):

الوجود في اللغة مصدر وجد يجد وجودا، وهذا يعني أن الوجود عرض من أعراض الأشياء، يدل على ثبوتها، وعدم عدمها؛ فالوجود يعني (الكون ويقابله العدم - واختلف في تعريفه. فقيل لا يعرّف، فمنهم من قال لأنّه بديهي التصوّر فلا يجوز أن يعرّف إلا تعريفا لفظيا، ومنهم من قال لأنّه لا يتصوّر أصلا لا بداهة ولا كسبا. وقيل يعرّف لأنّه كسبي التصوّر)[٢].

---

(١) انظر هذه السبل الأربعة: معجم مقاليد العلوم، السيوطي، ص٣٦، ٣٧

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ٢/١٧٦٦

ومع اختلاف العلماء في تعريف الوجود بأن يُعرَّف او لا يعرف فإنهم لا يختلفون مطلقا في وصف الموجودات به، وتبعا لتنوع الموجودات من موجودات حسية وموجودات عقلية، وكذلك من الموجودات ما هو ظاهر ومنها ما هو كامن؛ فالموجودات المحسوسة الظاهرة توصف بأنها موجودة بالفعل، والموجودات الذهنية توصف بالوجود الذهني كالعنقاء مثلا، وتوصف الموجودات الكامنة بأنها موجودة بالقوة، وذلك مثل صفة الكتابة في الكاتب.

ومن أراد تعريف الوجود فقد عرفوه بألفاظ كثيرة قد تكون كلها مترادفة، (مثال ذلك تعريف الوجود بالكون، أو الثبوت، أو التحقق، أو الحصول، أو الشيئية، أو بما به ينقسم الشيء إلى فاعل ومنفعل، وإلى حادث وقديم، أو بما به يصحّ إن يعلم الشيء، ويخبر عنه) [١].

والناظر في هذه الألفاظ يجدها أخفى من المعرَّف؛ لأنها جميعا عبارة عن صفات أو خواص للموجود فالكون يعني الإحداث والإحداث يعني الإيجاد والإيجاد ليس وجودا ولكنه فعل يقع على الشيء الذي سيوجد بعد إيجاده.

والثبوت لا يقابله العدم وإنما يقابله النفي ونفي الشيء لا ينفي وجوده.

والتحقق مثل الثبوت، لا يقابل العدم وإنما يقابله الشك، والشك لا ينفي الوجود.

والحصول لا يعني الوجود ولكنه خاصة من خواص الموجودات أنها حاصلة، وحصولها يعني إيجادها لا وجودها.

---

(١) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٢/٥٥٨.

وهكذا سنجد في كل لفظة ما يخرجها عن المعنى التام للوجود، ولبيان حقيقة الوجود وتعريفه تعريفا تاما ينبغي أن يكون تعريفه بمعرفة ضده، ولذلك ميزوه في تعريفه عن غيره فقالوا: الوجود يعني: (إيجاد الشيء واختراعه علي غير مثال سابق، حيث إن الإيجاد يتعلق بالممكن المقدور علي ما تحقق منه، وما لم يتحقق بعد، ما دام قد تعلقت به قدرة الباري عز وجل، أما ما لم تتعلق به القدرة وهو المستحيل فلا وجود له أصلاً حيث إنه المنتفي الذي لا يقبل الوجود لذاته) [1].

(**سارتر**):

فيلسوف وأديب فرنسي مولود سنة ١٩٠٥م، وهو ملحد، ويعُدُّ رأس الوجوديين الملاحدة،له عدة مؤلفات من كتب وروايات بث فيها مذهبه الوجودي الإلحادي، مثل: الوجودية مذهب إنساني، الوجود والعدم، الغثيان، الذباب، الباب المغلق.

وإذا كان بعض الملاحدة قبله قد قالوا: إن الله خرافة نافعة؛ لما تحمله الشرائع من الأخلاق وحسن السلوك الإنساني فإن سارتر قال: إن الله خرافة ضارة – تعالى الله عما يقول الكافرون علوا كبيرا – ومن مساوئ سارتر مناصرته للصهيونية[2].

---

(١) انظر: تقريب المرام للشيخ عبد القادر بن محمد السنندجي في شرح تهـذيب الكـلام للإمام سعد الدين التفتازاني، القسم الأول ص ٢٠، دار السـعادة للطباعـة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧م.

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحـزاب المعاصـرة (٨١٨/٢، ٨٨٨/٢).

وترجع بذور مذهب الوجودية إلى الكاتب الدانمركي كيركا جورد ١٨١٣ – ١٨٥٥م وقد نمَّى آراءه وتعمق فيها الفيلسوفان الألمانيان مارتن هيدجر الذي ولد عام ١٨٨٩م، وكارك يسبرز المولود عام ١٨٨٣م.

وقد أكد هؤلاء الفلاسفة أن فلسفتهم ليست تجريدية عقلية، بل هي دراسة ظواهر الوجود المتحقق في الموجودات.

والفكر الوجودي لدى كيركاجورد عميق التدين، ولكنه تحول إلى ملحد إلحاداً صريحاً لدى سارتر(١).

(**دراسة**):

وأصلها من الدرس، والدرس من الألفاظ المشتركة، أي التي لها أكثر من معنى، فيقال:

الدرس بمعنى المحو، وذلك في قولهم: (دَرَسَ الأَثَرُ يَدْرُسُ دُروساً ودَرَسَته الريحُ تَدْرُسُه دَرْساً أَي محتْه؛ وَمِنْ ذَلِكَ دَرَسْتُ الثوبَ أَدْرُسُه دَرْساً، فَهُوَ مَدْرُوسٌ ودَرِيسٌ، أَي أَخْلَقْته. وَمِنْهُ قِيلَ لِلثَّوْبِ الخَلَق: دَرِيس)(٢).

الدرس بمعنى الدوس على الشيء، وذلك كقولهم: (ودَرَسَ الطعامَ يَدْرُسُه: داسَه؛ يَمانِيَةٌ. ودُرِسَ الطعامُ يُدْرسُ دِراساً إِذا دِيسَ. والدِّراسُ: الدِّياسُ، بِلُغَةِ أَهل الشَّامِ، ودَرَسُوا الحِنْطَةَ دِراساً أَي داسُوها)(٣).

الدرس بمعنى الترويض: (ودَرَسَ النَّاقَةَ يَدْرُسُها دَرْساً: رَاضَهَا ...

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٢/٨٨٩.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، طـ ثالثة، ١٤١٤هـ ٦/٧٩.
(٣) السابق نفس الجزء والصفحة.

ودَرَسَ الكتابَ يَدْرُسُه دَرْساً ودِراسَةً ودارَسَه، مِنْ ذَلِكَ، كأَنه عَانَدَهُ حَتَّى انْقَادَ لحِفْظِهِ. ... ودَرَسْتُ الْكِتَابَ أَدْرُسُه دَرْساً أَي ذللته بكثرة القراءة جتى خَفَّ حِفْظُهُ عليَّ، مِنْ ذَلِكَ؛ قَالَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ (١):

---

(١) شاعر عربي مخضرم – عاش في الجاهلية والإسلام معا – قدِم كعب على رسول الله – ﷺ – المدينة سنة تسعٍ، فأنشده قصيدته المشهورة:

بانت سعادُ فقلبي اليومَ مَتبولُ ∴ مُتيَّمٌ عندَها لم يُجزَ مكبولُ

ومنها في مدح النبي – ﷺ –:

نُبِّئْتُ أن رسولَ الله أوعدني ∴ والعفوُ عند رسول اللهِ مأمولُ
مَهلاً هداكَ الذي أعطاك نافلةَ الـ ∴ قرآنِ فيه مواعيدٌ وتفصيلُ
لا تَأخذَنِّي بأقوالِ الوُشاةِ ولم ∴ أُذنبْ، ولو كثرتْ فيَّ الأقاويلُ
إنَّ الرسولَ لنورٌ يُستضاء به ∴ مُهندٌ من سيوفِ اللهِ مَسلولُ
في عصبةٍ من قريش قالَ قائلهم ∴ ببطنِ مكةَ، لما أسلموا: زُولوا
زالوا، فما زال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ ∴ عند اللقاءِ ولا ميلٌ مَعازيلُ

وكان قبل ذلك حين أسلم أخوه بجير قال أبياتا في ذم النبي – ﷺ – فأهدر النبي – ﷺ – دمه، فلما عاد تائبا سنة تسع من الهجرة وقال قصيدته "بانت سعاد ..." عفا عنه رسول الله – ﷺ – ولم أقف لكعب على تاريخ مولد ولا تاريخ وفاة .

تنظر ترجمته: معجم الشعراء: للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (المتوفى: ٣٨٤ هـ) بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور/ ف . كرنكو: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان- ط: الثانية، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م صـ ٣٤٢، معرفة الصحابة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) تحقيق: عادل بن يوسف العزازي: دار الوطن للنشر، الرياض، ط: الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م ٢٣٧٧/٥.

وَفِي الحِلمِ إِدْهانٌ وَفِي العَفْوِ دُرْسَةٌ ∴ وَفِي الصِّدْقِ مَنْجاةٌ مِنَ الشَّرِّ فاصْدُقِ
قَالَ: الدُّرْسَةُ الرِّياضَةُ، وَمِنْهُ دَرَسْتُ السورةَ أَي حَفظتها) [1].

وعلى ما سبق فإن (الدراسة الرياضة والتعهد للشيء) [2].

(**نقد**):

النقد له عدة معان، فتارة يطلق ويراد به ما يجري على الأموال النقدية كالدرهم والدينار؛ فيقال نقدت الدرهم والدينار أي اختبرته، وكذلك دفعته.

وتارة يطلق ويراد به النظر في الأقوال والأفعال لاستخراج ما فيه من محاسن أو عيوب.

وتارة يطلق النقد ويراد به تحقيق القول أو الفعل ونسبته إلى قائله أو فاعله.

وتارة يعني النظر في أثر القول أو الفعل المثار أدبا كان أو نظرية علمية، أو نصا فلسفيا أو حكما شرعيا أو عقيدة من العقائد أو مذهبا من المذاهب[3].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٦/٧٩.

(٢) غريب الحديث، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ) المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر – دمشق، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، ١/٥٨٣.

(٣) انظر هذه المعاني كلها للنقد: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١/١٤٩ – ١٥١ بتصرف.

المبحث الثاني

الماهية والوجود عند سارتر

اعتنى سارتر بقضية الوجود والماهية -خاصة الماهية الإنسانية- عناية كبيرة، بل كانت هذه المفاهيم شغله الشاغل في جل أعماله أو كلها، وقبل الحديث عن هذين المفهومين لدى سارتر أود بيان مصادر سارتر الفلسفية والفكرية، التي من خلالها تناول سارتر فكرته حول الوجود والماهية.

إن سارتر لا يرى الماهية بمعنى الذات المتكونة بخصائص ثابتة جامعة بين أفراد نوعها؛ فمثلا: هو لا يرى ماهية الإنسان بمعناها الجامع بين خصائص الإنسانية من جسد وروح وعقل، وأنه يحمل قوى مختلفة في تكوينه الذاتي من قوة ناطقة ومتخيلة ووعي وإدراك وعاطفة وشعور، وأنه يتميز عن غيره من المخلوقات بالنمو والحركة والنطق، ولكن يرى الماهية الإنسانية ماهيات متعددة بتعدد أفراد الإنسان؛ فلكل إنسان ماهية خاصة به يتفرد بها عمن سواه من بني نوعه أو جنسه، وهذه الماهية هي التي يصنعها الإنسان بنفسه لنفسه عن طريق سلوكه واختياراته؛ لذلك نجد سارتر يخلط بين الوجود والماهية خلطا شديدا حين يقول: (الإنسان ليس إلا مشروع الوجود الذي يتصوره ووجوده هو مجموع ما حققه)[1] فجملة "ليس إلا" دالة على الحصر والقصر، وكأن سارتر لا يرى ماهية الإنسان إلا

---

(١) الوجودية مذهب إنساني، جان بول سارتر، ترجمة: عبد المنعم الحفني، الدار المصرية للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٩٦٤م، ص٣٨.

في وجوده، ووجوده ليس خارجا عنه وإنما وجوده نابع من ذاته التي تحقق وجوده؛ فجعل الماهية الإنسانية وجودا.

وهذا الخلط أساسه تمجيد "الأنا" والغلو في المادة وإرجاع الوجود والماهيات إليها، ويقول: (السبب في علو الأنا: إن الأنا بوصفه القطب الموحد للتجارب الحية هو في ذاته لا من أجل ذاته ... وكذا يظهر الأنا للشعور كشيء في ذاته عالٍ).

ذلك أن سارتر يرى الوجود مقدما على الماهية؛ فيقول: (ماذا نعني عندما نقول إن الوجود سابق على الماهية؟ إننا نعني أن الإنسان يوجد أولا، ثم يتعرف إلى نفسه ثم يحتك بالعالم الخارجي؛ فتكون له صفاته، ويختار لنفسه أشياء هي التي تحدده، فإذا لم يكن للإنسان في بداية حياته صفات محددة؛ فذلك لأنه قد بدأ من الصفر، بدأ ولم يكن شيئًا. وهو لن يكون شيئاً إلا بعد ذلك، ولن يكون سوى ما قدَّرَه لنفسه)(١).

فالماهية الإنسانية عند سارتر مترتبة على الوجود ثم الإرادة ثم العمل بحسب ما تمليه الإرادة، فإذا مر الإنسان بتلك المراحل كان إنسانا له ماهيته المعتبرة والثابتة بالفعل لا بالقوة، أما من لم تتوافر له هذه الأمور الثلاثة فليس إنسانا ذا ماهية بالفعل ولا بالقوة.

وذلك يعني أن سارتر لا يعترف بشيء اسمه الماهية بمعنى المكون الأساس من جوهر الشيء وصفاته؛ فلكل شيء ماهية، وهذه الماهية هي مجموع ما يتكون منه الشيء ذاتا وعرضا، وهذه المكونات قد تكون

---

(١) الوجودية مذهب إنساني، سارتر، ترجمة عبد المنعم الحفني، الطبعة: الأولى، ١٩٦٤م، ص١٤.

موجودة بالفعل وقد تكون موجودة بالقوة، وذلك مثل الأب وابنه اذي لم يولد بعد؛ فالأب له ماهية قائمة بالفعل، وابنه الجنين في بطن أمه له ماهية قائمة بالقوة، ذلك أن مكونات الماهية في الإنسان كله مقومات واحدة، لا تختلف باختلاف أطوار الإنسان؛ فالإنسان بالفعل حيوان ناطق ضاحك، والإنسان بالفعل له المكونات نفسها، وإن لم تظهر إلا في فترات معينة من حياتته، وتأخر ظهور الصفات لا يعني انتفاءها، وإنما يعني ثبوتها بالقوة، حتى يحين وقت ظهورها لتتحقق بالفعل.

وسارتر لا يؤمن بهذه القضية إيمانا جازما ولا إيمانا فيه شك، وإنما يجزم بأن الوجود لا بد أن يسبق الماهية؛ بمعنى أنه لا أصل للأشياء ثابت قبل وجودها، ودعاه إلى هذه الفكرة إنكاره لوجود الرب الخالق تبارك وتعالى؛ فيقول: (وهكذا لا يكون للإنسانية شيء اسمه الطبيعة البشرية؛ لأنه لا يوجد الرب الذي تمثل وجود هذه الطبيعة وحققها لكل فرد طبقا للفكرة المسبقة التي لديه عن كلٍّ) [(١)].

من هذا النص يتضح أن إلحاد سارتر بعدم اعترافه برب خالق قادر على تكوين الخلق، يستطيع عمل ماهية أولى ثم يوجدها، ومنها يكون سائر نوع تلك الماهية وأجناسها المشاركة لها في جوهرها وصفاتها هو السبب الذي جعله ينكر أسبقية الماهية على الوجود؛ لذلك يقول: (إن الإنسان يوجد ثم يريد أن يكون، ويكون ما يريد أن يكونه بعد القفزة التي يقفزها إلى الوجود) [(٢)].

---

(١) الوجودية مذهب إنساني، سارتر، ص١٤.

(٢) الوجودية مذهب إنساني، سارتر، ص١٤.

وعلى هذا فالماهية عند سارتر مجردة عن مكون رئيس جامع للنوع أو الجنس، وإنا الماهية عنده مصوغة من فعل الإنسان، لذي ينبغي أن يكون حراً حرية مطلقة؛ ليفعل ما يثبت به هويته؛ فالماهية عند سارتر إنما (تقوم على الحرية المطلقة التي تمكن الفرد من أن يصنع نفسه ويتخذ موقفه كما يبدو له تحقيقا لوجوده الكامل) (١).

إن سارتر بمفهومه للماهية يرفض الأمور المتعقلة؛ إذ الماهية ليست مادة مطلقة، ولا صفات مجردة، ولا هي مجموعهما القائم بالفعل فقط، وإنما الماهية هي الأمور المتعقلة، مثل قولنا: المتعقل من الإنسان الحيوان الناطق، بغض النظر عن الوجود الخارجي، والأمر المتعقل من حيث هو معقول في جواب ماهو يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الواقع الخارجي يسمى حقيقة(٢).

وعلى هذا فإن سارتر لم يفرق بين ما هو متعقل وما هو حقيقة، فلا يعترف أن ذات الشيء تقال على ماهية الشيء وأجزاء ماهيته، وبشكل عام لكل ما أمكن أن يجاب به في جواب " ماهو "ذلك الشيء، ويكون الجواب بذكر الخصائص الذاتية التي تميزه عن غيره من الأشياء، وهي دائما ثابتة فيه.

إن زمن ومكان وجود الشيء لا يعبر عن حقيقة وذات الشيء، بل هي عناصر عرضية غير جوهرية في الشيء، بمعنى أنها لا تعبر عن ماهية الشيء.

وهنا سؤال نوجهه لسارتر ومن لف لفه:

إذا كانت الماهية ليست إلا الذات المتحققة بما حققته هي لذاتها فما هو

---

(١) المعجم الوسيط، ٢/١٠١٣، ١٠١٤.

(٢) التعريفات، الجرجاني، ص٢٠٥.

الخلاء ؟ وماذا قدم الخلاء بذاته لذاته حتى نعلم وجوده ؟

إن أي عاقل لا ينكر وجود الخلاء، ومع ذلك لا يقول عاقل بأن الخلاء صنع وجوده بذاته، أو بماهيته.

إن السؤال عن ماهية الخلاء لا يعدو كونه محاولة لفهم معنى الاسم فقط، لأن ماهيته متصورة في النفس فقط، وغير متصورة خارج النفس.

ويمكن القول: إن الخلاء موجود بالقوة لا بالفعل، أي أنه مجرد ماهيةُ ما، غير متحققة في الوجود الخارجي.

وعن مثل هذه الأمور يكون السؤال عن كل ما غاب عن الأعين ولم تلمسه الحواس: هل له وجود ؟ ومن أي شيء اكتسب وجوده ؟ أم من ذاته التي لم نرها ؟ أم من غيره ؟

فمثلا: العلم. هل يوجد علم لدى العلماء أم لا يوجد ؟

وإذا كان موجوداً فمن الذي أوجده ؟ هل ماهية العلم هي التي أوجدته ؟ أم أن العلم موجود حتى وإن لم يقم بعلماء ؟

لا يمكن لسارتر ومن لف لفه أن ينكر وجود العلم حتى وإن لم يقم بالعلماء، ولا يمكن أن يقال إن العلم بماهيته هو الذي أوجد نفسه، وهكذا.

وإذا كان سارتر يرى الماهية لا تقوم إلا على الحرية المطلقة التي بها يصنع الإنسان وجوده؛ فهذا يعني أن الوجود ليس إلا حرية، وهذا ما قاله سارتر: (الإنسان لا يكون أولا من أجل أن يكون حرا فيما بعد فليس ثم فارق بين وجود الإنسان وكونه حرا)[1] ويؤكد سارتر هذا المعنى في موضع آخر

(١) الوجود والعدم، سارتر، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص٤٥.

بقوله: (وإن ما نسميه حرية لا يمكن تمييزه عن وجود الحقيقة الإنسانية)(١).

إن سارتر يجتهد فوق طاقته لإثبات ما يعتنقه من مذهب الوجودية؛ حتى إنه يخالف المنقول والمعقول معا، وأريد بالمنقول هنا ما تناقله أهل الديانات السماوية من أن الله تعالى خلق آدم وصوره؛ فقضية الخلق التي تعني الوجود كانت سابقة على الماهية التي أتت بالإيجاد، وكذلك يخالف المعقول حيث يريد إثبات وجود لاحق لشيء هو موجود بوجود سابق، وكأنه يقول إن الوجود الذي تحقق في الماهية جعلها تتحرر، وتختار ما به تقرر وجودها، بمعنى أن الوجود يأتي بنفسه، وهذا من الدور المرفوض عقلا.

إن سارتر يدعي بفلسفته البحث في الحياة ومحاولة فلسفة ماهيتها ووجودها، وهو في الحقيقة لا يرى شيئا من الحياة سوى أفرادا متناثرة، لا يجمعها أصل مشترك، ولا صانع لها، إنها فلسفة مادية بحتة، تنتمي للموجود باعتباره حقيقة ملموسة، لا باعتباره وجودا قائما بالقوة أو بالفعل.

ولهذا نجد" سارتر "يدافع عن الوجودية وبشدة من طرف المنتقدين لها، حين قال في كتابه "الوجودية مذهب إنساني" (هدفي هنا الدفاع عن الوجودية ضد كل ما يوجه إليها من انتقادات فهم يتهمونها أولا بأنها دعوة للاستسلام للأسس، لأنه ما دامت كل الحلول مستحيلة، فإن العمل في هذا العالم مستحيل كذلك ولا جدوى منه، وحينئذ تكون الوجودية فلسفة تأملية، وما دام التأمل رفاهية ومن الكماليات فهي لن تكون سوى فلسفة برجوازية تضاف إلى الفلسفات البرجوازية الأخرى) (٢).

---

(١) فلسفة سارتر، حبيب الشاروني، ص١٣٣.

(٢) الوجود مذهب إنساني، سارتر، ص٥.

أنواع الوجود عند سارتر:

من المعلوم أن للوجود أنواعا، وهي: الوجود بالفعل والوجود بالقوة، والوجود الذهني، والوجود الحقيقي.

أما الوجود بالفعل فهو الوجود المثابت في عالم الوجود، سواء ما زال موجودا أم زال عن العالم بعد وجوده.

وأما الوجود بالفعل فهو الوجود الكامن في غيره، كوجود الابن في صلب أبيه، والتمرة في فسيلة النخلة، وهكذا.

وأما الوجود الذهني فهو الوجود الذي لا يلزم منه وجود حقيقي ولا وجود بالفعل ولا بالقوة، وإنما هو وجود تمثيلي، كوجود العنقاء ذهنا.

وأما الوجود الحقيقي فهو وجود الشيء الثابت في الحقيقة المحسوس بإحدى الحواس.

أما أنواع الوجود عند سارتر فهي نوعان:

وجود في ذاته:

(وكلمة في ذاته، تعني معادلا أو مطابقا لذاته، أي أنه لا يوجد لأجل ذاته مثل الكائن الواعي، بل هو مجرد قائم هناك، لاشك فيه جامد متكتل، كثيف لا يعز به أي فراغ، ولا يحتمل أي مسافة بينه وبين ذاته، فهو ملاء مطلق خال من الوعي) (١).

---

(١) أزمة الحرية بين رجسون وسارتر، حبيب الشاروني، ص١٠٢، نقلا عن: مشكلة الوجود عند جان بول سارتر، سهيلة بوقرة، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة، كلية الآداب، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، العام الدراسي ٢٠١٥ – ٢٠١٦م، ص٢٥.

ولقد أكد هذا المعنى سارتر حين قال: (إن الوجود في ذاته غير مخلوق، وليس له علة وجود وليست له علاقة بوجود آخر)[١].

ومعنى قول سارتر أن الوجود الحاصل في ذاته ليس له علة توجده، ولا خالق خلقه، بل ولا غاية له، ولا فعل ولا انفعال؛ فهو جامد لا دور له ولا أثر يدل عليه.

وهذا مخالف لما تدل عليه العقول، بل والتجارب المادية الوجودية نفسها، ذلك أن للوجود سببا أو علة تفعل عنده أو تفعله وهو ينفعل عندها أو بها؛ (وعلة الوجود إما أن يوجد منها المعلول أي يكون مؤثرا في المعلول موجدا له وهي العلة الفاعلية أو لا، وحينئذ إما أن يكون المعلول لأجلها وهي الغائبة أو لا وهي الشرط إن كان وجوديا، وارتفاع المانع إن كان عدميا)[٢].

وبناء على كلام سارتر فإن الوجودات متعددة بتعدد أفراد الموجودين؛ إذ لا سبب منتج أو علة فاعلة لوجود مطلقا؛ فيكون كل وجود ثابت بذاته؛ فلا سبب يفعل، ولا سابق وجود يمكن اشتقاق الوجود للاحق منه، وهذا ما أكده سارتر بقوله: الوجود في ذاته لا يمكن أيضا أن يشتق من ممكن، لأن الممكن تركيب من تراكيب الوجود لذاته)[٣].

وهذا يعني – كما أسلفت القول – إن الوجودات متعددة بتعدد الموجودين؛ حيث إن كل وجود في ذاته مستقل بذاته عن باقي الوجودات

(١) الوجود والعدم، سارتر، ص١٣.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، الفيض المناوي، ص٢٤٦.

(٣) الوجود والعدم، سارتر، ص١٣.

الأخرى؛ فلا علة تفعل، ولا اشتقاق يقع، وإنما هو ثبوت وجود مستقل مع ثبوت حقيقة كل موجود.

النوع الثاني: الوجود لذاته:

وهنا قد يظن بعض الناس من لام التعليل السابقة لكلمة ذاته أن الوجود فاعل في مذهب سارتر، والحقيقة غير ذلك؛ فإن سارتر لا يرى للوجود فعلا ولا انفعالا، وإنما يراه ترجمة عملية لإرادة الماهية الفاعلة لصفات الذات اللاحقة عليها مستقبلا، وهذا اللاحق هو الذي يسميه سارتر وجودا لذاته، أي وجودا ثبت لإثبات عنصر الوجود؛ فالوجود لذاته عبارة عن جهد لا يبلغ غايته للتطابق مع ما يكونه، وهذا الفشل يعرف وجود "الوجود -لذاته "من حيث أن الوجود لذاته يدرك نفسه باعتباره فشلا في حضور الذات التي لا يستطيع أن يصير إليها بالتطابق معها، ومن هنا يمكن القول بأن الواقع الإنساني إذن عبارة عن سعي مستمر نحو تطابق مع الذات لا سبيل إلى تحقيقه، ومن حيث إنه وجود لذاته أعني من حيث إنه وجود ليس إلا أساس عدمه، فإنه يتجاوز نفسه إلى غير حد صوب الوجود في ذاته الذي هو أساس وجوده[1].

النوع الثالث: الوجود للغير:

والوجود للغير عند سارتر يمكن أن نماثله بقولنا: "الإنسان مدني بطبعه" بمعنى أن الإنسان يحتاج إلى غيره، ويقف عنده ويحتك به تفاعلا

---

(١) المذاهب الوجودية من كيركيجارد الى جان بول سارتر، ريجيس جوليفي، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة عبدالهادي ابو زيد،دار الاداب، بيروت، الطبعة: الأولى، ص١٤٢

وانفعالا، فالإنسان يتعاطف مع غيره، ويخجل من غيره، ويواسي غيره، ويتصارع مع غيره، وهكذا كل شئون الحياة لا بد فيها من وجود الغير، والوجود للغير، وهكذا ما أكده سارتر بقوله: (إن نظرات الغير التي تتجه نحوي، تجعلني شيئا او موضوعا وتفكك عالمي، لكن حتى هذا الغير هو موضوع بالنسبة إلي يرى ما أراه انا وحين أكون موضوعا اكتشف من أكون ذاتا، بل الغير هو الذات، وهنا أصبح وجودا للغير وهذا الأخير يشكل تحديدا بالنسبة إلى، وانأ أشكل تحديدا له أيضا، إلا أن هذه العلاقة بالغير التي تحمل طابعا صراعيا لا تخلو من أهمية تكشف عن الذات أي عن الماهية التي لا يمكن للإنسان التعرف إليها) [1].

ومما سبق يتضح أن سارتر لا يرى الوجود بمعناه الحقيقي وإنما يرى الوجود بأثره الصفاتي في الموجود، وبهذا فإن الوجود عند سارتر غير ثابت بل هو متغير قوة وضعفا وحسنا وقبحا وقلة وكثرة، وهذه الأوصاف أو الخصائص للوجود لم يقل بها أحد.

(١) نادية سعدى، الأسس الفلسفية لنظرية الفن عند جان بول سارتر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، ٢٠٠٢م، ص١٧، نقلا عن: مشكلة الوجود عند جان بول سارتر، سهيلة بوقرة، ص٣٤.

المبحث الثالث

موازنة بين فكر سارتر والفكر الإسلامي

في مفهومي الماهية والوجود

تبينت أفكار سارتر في المبحث السابق حول مفهومي الماهية والوجود وكذلك اتضحت الأسس التي ترتكز عليها فلسفته، وما أدت إليه من إلحاد مكابر لمسلمات العقل والحس، رافض كل ما هو ميتافيزيقي، مؤلها المادة، صانعا من الإرادة الإنسانية إلها خالقا حكيما مدبرا، يصنع الوجود، ويرسم المستقبل، ويكتب المقادير، ويرتب لوقوعها كما أراد.

وإذا كان سارتر قد حاول جاهدا تغليف فلسفته بأسماء بعض القيم كالحرية والمسئولية فإن المتابع لكتاباته سرعان ما يكتشف زيف هذه العناوين البراقة، بل سيكتشف أن سارتر استغل هذه القيم أسوأ استغلال؛ إذ حولها من قيم تقوم على العدل والحق والواجب إلى قيم تقوم على العنف والتضليل والفساد والجحود والمكر والخداع.

ومثال من هذه القيم قيمة الحرية.

تحدث سارتر عن الحرية الفردية وأعلى من شأنها، حتى جعلها حرية مطلقة، ومن جانب آخر جعلها حرية تعين على تحديد وجود الإنسان؛ فالإنسان عند سارتر لا يكون له وجود حتى تكون له حرية تصنع ذلك الوجود فالحرية عند سارتر مجبرة على اختيار طريق وعمل لإثبات الوجود.

ومن هنا فإن سارتر جعل من الحرية إباحية مطلقة، وجعل من وسائل تحقيق الحرية حرية اختيار السبل المؤدية إلى تحقيق ما تريده الحرية سواء أكانت تلك السبل مشروعة أم غير مشروعة، وسواء أكانت تضر

بالآخرين أم لا تضر فالغاية تبرر الوسيلة في هذه الفلسفة.

وكون سارتر حتم على الحرية صنع وجود؛ فإنه جعلها حرية جبرية، أو مجبرة، ذلك؛ "أن الحرية السارترية هي اضطرارية، فالوعي مضطر أن يختار ورفض الاختيار إنما هو نوع من الاختيار إنه اختيار سلبي"(١).

إن مفاهيم سارتر حول الماهية والوجود أدت به إلى الفلسفة الجاحدة لقوانين الكون المنتظمة التي ترفض قانون الصدفة الماركسية، الذي اعتنقه سارتر(٢)، تلك القوانين التي تشهد بذاتها على وجود صانع لها، مدبر

(١) الوجود والجدل في فلسفة سارتر، حبيب الشاروني، ص٥٤.

(٢) تبنى سارتر أفكار ماركس باعتبارها الوسيلة المثلى لإنقاذ الإنسان من تأثير الإيمان الغيبي الذي يهدر طاقاته ويقلل إنتاجه، ويكون سببا في فقره ومرضه، وأنه لا بد أن ينتظم الإنسان في حزب كالحزب الشيوعي ليكتمل عمل الفرد في إطار عمل الجماعة أو الحزب. كما تبنى سارتر المادية التاريخية الموروثة من الفكر الماركسي، كما تحول فكر سارتر من الحرية الفردية المطلقة التي تحدث عنها في الوجود والعدم إلى حرية العمل أو بالأحرى الممارسة كما تحدث عنها في نقد العقل الجدلي ومن حرية الفرد إلى حرية كائن اجتماعي يعمل على تغير الوسط المادي الذي يحيط به مع الآخرين وبانخراطه في العالم" إن الإنسان الوجودي يتحدد فقط حسب عمله وفعله، وبالتالي هدفه هو أن يؤكد حرية العمل والفعل بانخراطه في مجموع الآخرين من البشر المحيطين به والذين يحيون معه لأنه ليس هناك إنسان في مقدوره أن يكون حرا لوحده".

انظر: جان بول سارتر والفعل التحرري، سبخة عودة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، السنة الدراسية ٢٠١٦ – ٢٠١٧م، ص١٩، ٢٠.

أمرها، يسيِّرها في فلك دائم بحركة منتظمة، على حساب دقيق، لا يختل ميزانه، ولا يتصدع شيء من بنيانه، وكأن الأفلاك بقوانينها تقول لسارتر ولكل ملحد منكر وجود الله تعالى: لقد فسد عقلك وحسك؛ فلا ينكر ضوء الشمس إلا من بعينه رمد، ولا ينكر تدبير الحق للخلق إلا من عقله فسد.

وكأن الكون كله يردد قول الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [(١)].

ولقد اكتسب سارتر فلسفته الإلحادية تلك من عدة فلسفات مختلفة كانت منها فلسفة نيتشة وهيدجر وماركس "يتفق سارتر مع هيدجر في الإلحاد وفي القول بالحرية وفي التجاوز؛ فهيدجر يعرف الحرية بأنها قدرة الإنسان على أن يؤسس ذاته من حيث هي متميزة عن غيرها فالإنسان إذا حر، لأنه قادر على أن يؤسس ذاته عن طريق التجاوز، غير أن ما نلاحظه في الحرية عند هيدجر هو أنها تتضمن وضع الإنسان للعالم"[(٢)].

في مفهومي الوجود والماهية عند سارتر نجده قد نفى وجود ماهية سابقة على الوجود، وأن الوجود يكون أولا ثم يصنع الإنسان بحريته ما يثبت به وجوده؛ فتتحقق حينئذ ماهية الإنسان التي تكونت من مجموع ما صنعته الحرية من صفات أو سمات حددت ماهية ذلك الإنسان.

وهنا ملحوظتان مهمتان:

أولاهما: إن سارتر وقع في الدور المخالف للعقل؛ إذ كيف يصنع

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٢) فلسفة جان بول سارتر، حبيب الشاروني، ص ٤٩.

الوجود الوجود، الوجود في فلسفة سارتر متوقف وجوده على الوجود، والوجود أيضا عنده هو صانع الوجود، فكيف ذلك؟!!

الملحوظة الثانية: إن سارتر جعل الحرية هي التي تصنع سمات الشخص التي بها تتكون ماهيته، وبالتالي فإن الماهية عنده متأخرة عن الوجود.

وهنا نقول له: إذا كانت الماهية تعني الشيء المشترك الجامع للنوع أو الجنس فإنك قد جعلت الحرية هي الشيء الجامع للنوع الإنساني قبل وجوده؛ لأنه يصنع وجوده بحريته؛ فإذا كانت الحرية هي الشيء الجامع للنوع البشري، وهي سابقة على وجوده فلماذا لا تكون الحرية هي الماهية الإنسانية السابقة على الوجود؟ (إن سارتر يجعل الإنسان خاليا من كل ماهية إنسانية ويعود في الوقت نفسه فيجعل له ماهية معينة هي الحرية) [(١)].

وهناك تناقض آخر نلحظه في فلسفة سارتر عندما يتحدث عن الوجود ويقيده بالحرية المطلقة فإن ذلك يعني ارتفاع شأن الفرد وتضخم الأنا على حساب الآخرين، ولكن سارتر يجعل وجود الآخرين شرطا لوجود الأنا والوعي بها[(٢)].

إن تنقل سارتر بين الفلسفات جعله يتخبط في تحديد المفاهيم وضبطها، وأنى له ذلك وهو يسعى خلف كل فكر بشري، ويترك الضبط الإلهي في العقائد والتشريعات والمفاهيم.

إن الفكر البشري موصوف بصفات مصدره، ومن سمات البشر النقص

---

(١) الوجود والجدل في فلسفة سارتر، حبيب الشاروني، ص ٥٦.

(٢) الحرية عند جان بول سارتر، عزيزة عماري، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة، جامعة ٨مايو، الجزائر، السنة الدراسية ٢٠١٦ – ٢٠١٧م ص٨٣.

والقصور، وكذلك يكون كل فكر بشري ناقصا قاصرا، أما القانون الإلهي وتشريعاته وعقائده وسلوكياته وضوابطه فكلها آخذة من صفات منزلها والحاكم بها، والله تعالى متصف بكل صفات الكمال والجمال والجلال، وكذلك تشريعاته وأحكامه تتصف بالكمال والجمال والجلال.

وعند الحديث عن الماهية عند سارتر نجده لا يقر ماهية بالمعنى المعروف، ولكنه يقول بماهية فردية لكل فرد، يحددها الوجود الذي وسمها بسمات معينة عبر العمر الطويل والتجارب الكثيرة والعمل الدائب بحرية مطلقة، ولعل ما دعاه إلى ذلك اعتقاده انتفاء الخصوصية الفردية عند إثبات ماهية مشتركة.

ولعل هذا الاعتقاد إنما بناه على عدم التفريق بين الهويات؛ فالإنسان ذو هويات متعددة، أولها هويته الماهوية، بمعنى الهوية الأصيلة الجامعة لأفراد نوعه أو جنسه، وهي هوية الماهية الإنسانية، ثم بعد ذلك هوية النسب البعيد وهو آدم – ﷺ –، ثم هوية النسب القريب، وهو الأب والأم، ثم هو الذات بما تحمله من صفات خلقية وخُلُقية، ثم هوية الوطن، الذي يحيا فيه، ثم هوية الدين، ثم هوية المذهب الفكري أو العقدي أو الفقهي أو السياسي وغير ذلك.

إن كل هذه الهويات مجتمعة في الشخص الواحد ولا تعارض بينها مطلقا، ولكن سارتر رأى التعارض بين هوية الذات والهوية الإنسانية؛ فنزع الهوية الإنسانية العامة الشاملة ليُبقي على هوية الذات الفرد.

وحقيقة تعنت سارتر لانتزاع الهوية الإنسانية العامة والإبقاء على هوية الفرد هي إنكاره لوجود رب خالق قادر، يعلم ويكتب المقادير، ويقدِّر

لكل إنسان ما اشترك فيه مع غيره من هوية إنسانية عامة وما ميزه به من صفات خاصة؛ حتى إنه قال: (إن الله خرافة ضارة)(١).

إن سارتر أراد أن يتحدى الأديان المقرة بالماهية المشتركة بين النوع البشري، ولكنه غفل عن أنه لا يستطيع تغيير شيء من نفسه؛ فمثلا لم يستطع تغيير عادته في الأكل واحتياجه إليه، ولا استطاع تغيير شيء من غرائزه البشرية كالحنين إلى الجنس الآخر والتلاقي معه، أو تغيير شيء من خواصه كالشعور بالبرودة عند برودة الطقس أو الشعور بالحرارة عند حرارته.

إن هذه الخصائص الإنسانية المشتركة لخير دليل على إثبات الماهية العامة المشتركة التي أراد سارتر نفيها عندما قال بتعدد الوجودات لتعدد الموجودين.

إن سارتر يرى الوجود الإنساني عبارة عن الصفات التي حققها الإنسان في حياته نتيجة حريته المطلقة، وهذه الحرية المطلقة التي أرادها سارتر إنما هي الحرية التي لا يقيدها دين؛ لأن الدين من صنع الله تعالى، والله في ظن سارتر ظالم متجبر يجبر الإنسان على أشياء، ويقيد حريته، وبالتالي فإن الإنسان يجب عليه أن يتخلى من كل قيد.

وفي الحقيقة إن الله تعالى لم يجبر أحدا على فعل شيء بعينه، وإنما أطلق له عنان الاختيار، وملكه القدرة على فعل ما يختار، وحمله تبعة اختياره، وعرفه عاقبة كل فعل يفعله، وجعله محلا للتكليف والمسئولية بما

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان المذاهب والأحزاب المعاصرة، ٨٩٨/٢.

حباه من عقل ووعي بالحال والمآل.

وأذكر من هذه الحرية أمثلة يتضح بها المراد من الحرية الإسلامية، منها:

حرية الاعتقاد:

الإسلام كفل للإنسان حرية اعتقاد ما يشاء من خير وشر، بعد أن وضح سبيل كل منهما، وما يؤدي إليه، قال الله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيم ﴾(١).

وقال – عز من قائل – في الحرية وتبعاتها: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾(٢).

حرية التنقل والبحث:

كفل الله تعالى للإنسان في حياته أن يكون حرا في اختيار المكان الذي يعيش فيه، ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٢) سورة الكهف، الآيات: ٢٩ – ٣١.

رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾(1).

وفي البحث والتفكر والتنقيب في آفاق السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٣).

بهذا يتبين خطأ فكرة سارتر عن الوجود والماهية وما يتعلق بهما من آثار عقدية سيئة مخالفة للأديان عامة وللإسلام خاصة، بل إن آثارها تتعدى العقائد والمذاهب لتصل بفسادها إلى حياة البشر العامة والتعدي على حرمات الآخرين بدعوى الحرية المطلقة، والتقاء المذاهب الفاسدة من مذهب اللذة ومذهب البقاء للأقوى، والنفعية المجردة، وغيرها من المذاهب الساقطة الفاسدة.

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

الخاتمة

بعد هذه الجولة المختصرة حول مفهومي الماهية والوجودد عند سارتر دراسة نقدية يتضح ما يلي:

الماهية والوجود مفهومان فلسفيان بحث فيهما الفلاسفة والحكماء قديما وحديثا، ولا يزال الإنسان يبحث في مهايا الأشياء، وكيفية وجودها، وطبيعة ذلك الوجود، من حيث الإمكان والوجوب، القدم والحدوث، الوجود الحقيقي والذهني وهكذا.

الوجود عند أهل الديانات متأخر على الماهية؛ إذ الماهية هي الصورة الأصيلة التي تشكل منها النوع الموجود على شاكلتها؛ فالإنسان من حيث ماهيته هو تلك الصورة المتشكلة في الطين قبل نفخ الروح فيه، بما حوت من أعضاء جسدية، وما حملت من غرائز وشهوات وخصائص نفسية وبدنية.

أما الوجود عند سارتر فإنه سابق على الماهية؛ فالماهية عنده ليست خصائص مشتركة وإنما هي صفات يحققها الفرد بوجوده ليثبت وجوده.

خالف سارتر في مقولته عن الوجود النقل والعقل فيما قال فلم يوافق دينا سماويا ولا عقلا فلسفيا.

أدى قول سارتر بأسبقية الوجود على الماهية إلى إنكار خالق المهايا؛ فجعل الوجود هو الخالق، ومع ذلك قال بأن الوجود جامد لا يفعل ولا ينفعل، ولا يؤثر ولا يتأثر، وبذلك يكون قد وقع في التعارض الواضح البيِّن.

قول سارتر عن الوجود والماهية والحرية والصفات المتحققة للماهية بتلك الحرية التي هي الوجود حقيقة ناتج عن سوء ظن بالله تعالى، والله جل وعلا منزه عنه.

المصادر والمراجع

١) أزمة الحرية بين رجسون وسارتر، حبيب الشاروني.
٢) الأسس الفلسفية لنظرية الفن عند جان بول سارتر، نادية سعدى، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر ٢٠٠٢م.
٣) تقريب المرام للشيخ عبد القادر بن محمد السنندجي في شرح تهذيب الكلام للإمام سعد الدين التفتازاني، القسم الأول، دار السعادة للطباعة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧م.
٤) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ) عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت – القاهرة، ط: الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
٥) غريب الحديث، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨هـ)، المحقق: عبدالكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر – دمشق ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م
٦) كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٧) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ.
٨) المذاهب الوجودية من كيركيجارد الى جان بول سارتر، ريجيس

جوليفي، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة: عبدالهادي ابو زيد، دار الاداب، بيروت، ط: الأولى.

٩) مشكلة الوجود عند جان بول سارتر، سهيلة بوقرة، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة، كلية الآداب، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، العام الدراسي ٢٠١٥ – ٢٠١٦م.

١٠) معجم الشعراء: للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٤هـ) بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور/ ف . كرنكو: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان– ط: الثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

١١) المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية) الدكتور جميل صليبا (ت ١٩٧٦م) الشركة العالمية للكتاب – بيروت ١٤١٤ هـ ١٩٩٤م.

١٢) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) المحقق: أ.د/ محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب – القاهرة / مصر، ط: الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

١٣) معرفة الصحابة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) تحقيق: عادل ابن يوسف العزازي: دار الوطن للنشر، الرياض، ط: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

١٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) دار الدعوة، د/ ت.

١٥) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي

ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د/ رفيق العجم، تحقيق: د/ علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د/ عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د/ جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت– ط: الأولى ١٩٩٦م.

١٦) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د/ مانع ابن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الرابعة ١٤٢٠هـ.

١٧) الوجودية مذهب إنساني، جان بول سارتر، ترجمة: عبد المنعم الحفني، الدار المصرية للطبع والنشر والتوزيع، ط: الأولى ١٩٦٤م

١٨) الوجود والعدم، سارتر، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، منشورات دار الآداب، بيروت، ط: الأولى ١٩٦٦م.

